حريق ميت غمر

بين حافظ وشوقى دراسة فنية وموازنة

الدكتور / كمال محمد محمد عبد الرحمن مخلوف
مدرس الأدب والنقد بالكلية

حريق ميت غمر فى وجهان شاعرين
حافظ وشوقى

تمهيد:

إن حريق ميت غمر [١] قد هز قلوب المصريين عامة والأدباء خاصة ومنهم حافظ وشوقى ، ومزق أحشاءهم ، لأنه حدث جسيم ترك وراءه أضرار فادحة وخطرا بالغا قد اضر بالرجال والنساء والصغار والرضع ،

وقد حدث هذا الحريق بسبب اشتعال النار فى مخزن أخشاب ثم ما لبث أن امتد إلى المدينة بأكملها وقد تأثر أمراء البيان كأمثال الكاتب والأديب مصطفى لطفى المنفلوطى ن والشيخ على يوسف وأستاذ محمد لطفى جمعه ، فتناولوا فى كتاباتهم على صفحات المؤيد الدعوة إلى التبرع وبذل المال لإغاثة المنكوبين وإعانة المهجرين من المدينة وإصلاح ما أفسده الحريق [٢] .

كما انبرى بعض الشعراء لهذه المصيبة الفادحة وتلك الطامة الكبرى التى أصابت أهل هذه المدينة فنظم شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدته التى بلغت أربعة وعشرين بيتا والتى نشرت فى مايو سنة ١٩٠٢ م كما نظم أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدته التى بلغت أربعة وأربعين بيتا والتى نشرت بمجلة المجلات العربية عام ١٩٠٥ م .

---

[١] ميت غمر إحدى مدن الدقهلية وقد اشتعلت النار فى هذه المدينة سنة ١٩٠٢ م فلم ينج إلا نفر قليل استطاع الخلاص ثم جمعت لهم المساعدات الكثيرة .

[٢] انظر محمد لطفى جمعه سلسلة الإعلام العدد (٥) بقلم رابح لطفى جمعه ص ١١٢ . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ م .

وقد التبت عاطفة كل من الشاعرين تجاه هذه الكارثة التـــى ألمـــت بتلـــك المدينة فحرقت الدور وقضت على كل أخضر ويابس ، كما حرمت الأطفال والرضـــع من أمهاتهم اللاتى فقدن تحت الأنقاض ، وشردت النساء والعذارى مـــن بيوتـــهن ، وأيتمت الصغار والرضع الذين فقدوا آباءهم تحت الجدران والأسقف التى سقطت مـن شدة الحريق التى أخرجت أهل هذه المدينة المنكوبة من ديارهم عراة يطلبون الفـرار خشبية الموت ، كما كثرت الأرامل اللاتى فقدن أزواجهن لذلك كله جـــأر الشـــاعران يناديان ربهما – عز وجل – بأن يكشف الكرب عن هذه المدينـــة وان يرســـل غيثـــا مدرارا لإطفائها وأن يصبر الله كل حى ويرحم كل ميت قد تحول إلى رفـــات وعظـــام نخرة كما نادى الشعراء والكتاب والأغنياء بأن يمدوا يد المساعدة لهؤلاء المنكوبيـــن المتضررين من هذا الحريق .

التعريف بحافظ إبراهيم : ولد حافظ إبراهيم " بدهبية " كانت راســـية على شاطئ النيل بمركز ديروط التابع لمحافظة أسيوط فى حوالى سنة ١٨٧٠ م .

وكان والده المهندس/ إبراهيم يعمل مهندسا للرى بقناطر ديـــروط وكـــانت والدته السيدة هانم أحمد من اصل تركى .

وقد توفى والده وهو لا يزال صبيا فذهبت به أمه إلى القاهرة ، وعاشت مـــع أخيها المهندس محمد نيازى وقد كفله خاله وذهب بهما إلى طنطا حينما نقل إليـــها ، وبذل قصارى جهده ليجعل منه تلميذا ناجحا ، لكنه لم يوفق فى مسعاه فضـــاق بـــه وشعر الفتى بهذا الضيق فترك المنزل واشتغل فى المحاماة ولكنه لم يوفق فيها أيضـــا ، ثم أتيحت له فرصة الدخول فى المدرسة الحربية فدخلها وتخرج بعد مضـــى اربـــع سنوات وعين موظفا رتبة كلازم ثان ، ثم رقى إلى مـــلازم أول ولكنـــه أخفـــق فـــى الوظيفة فأحيل إلى الاستيداع .

ولقد نظم حافظ الشعر وهو فى سن السادسة عشرة من عمره حيث ظـــهرت مواهب حافظ الشعرية وهو فى السادسة عشرة من عمره لم يتعلمها عن معلم أو

أديب بل كانت وحى الإلهام والسليقة [١] كما عنى حافظ بشعر البارودى واتصل بالشيخ محمد عبده مما أضاف إلى ثقافته رصيدا نافعا من أفكاره وآرائه كما وجد عند خاله بعض الكتب (كألف ليلة وليلة وعنترة بن شداد) [٢]

وقد بلغ من حدة ذاكرته وقوة حافظته ما يحدث به صديقه الشيخ العطار فيقول : " كان يسمع الفقيه فى بيت خاله يقرأ السورة فيحفظ ما يقول ويؤديه كما سمعه بالراوية التى قرا بها الفقيه. [٣]

وقد سافر إلى السودان فى سنة ١٨٩٦ م مع الحملة التى سافرت لاسترجاع السودان . واستمر هناك أربع سنوات رجع بعدها محروما من الخدمة وظل عاطلا حتى سنة ١٩١١ م ن ثم عين بعد ذلك موظفا بدار الكتب المصرية ، واستمر بها حتى ١٩٣٢ م ، ثم أحيل إلى المعاش وفى نفس السنة فاضت روحه إلى بارئها يوم ٢١ من شهر يوليو سنة ١٩٣٢ .

وسنكتفى بهذا القدر من التعريف بحافظ لكثرة ما كتب عنه من قبل الباحثين والدارسين ، ولأن جوهر بحثنا بعيدا عن ذلك .

قصيدة حافظ فى حريق ميت غمر

١- سائلوا الليل عنهم والنهارا ... كيف باتت نساؤهم والعذارى ؟ [٤]
٢- كيف أمسى رضيعهم فقد الأم ... وكيف اصطلى مع القوم نارا ؟[٥]
٣- كيف طاح العجوز تحت جدار ... يتداعى واسقف تتجارى ؟ [٦]
٤- رب إن القضاء انحى عليهم ... فاكشف الكرب واحجب الأقدارا[٧]
٥- ومر النار أن تكف أذاها ... ومر الغيث أن يسيل انهمارا

---

[١] انظر شعراء الوطنية فى مصر لعبد الرحمن الرافعى ص ٩٣ .

[٢] مقدمه ليالى سطيح ص ٥٣ نقلا عن كتاب حافظ إبراهيم حياته وشعره د/ أحمد درويش طبعة ١٩٦٩ م .

[٣] مجلة أبو لو - يوليو ١٩٣٧ م من ١٣٢٢ - ١٣٢٧ هـ نقلا عن كتاب حافظ إبراهيم حياته وشعره د/ أحمد درويش ط ١٩٦٩ .

[٤] العذارى : الفتيات الأبكار اللاتى لم يطمثهن إنس ولا جان .

[٥] اصطلى : استدفأ انظر القاموس (٢ : ٣٨٦) وصلى اللحم يصليه صليا : شواه وألقاه فى النار للإحراق ، وأصلاه النار أدخله إياها .

[٦] يتداعى : ينقض ويتهدم ، وطاح هلك ، تتجارى : تتسابق فى السقوط .

[٧] أنحى : اقبل القاموس ٤٠ : ٣٨٦) .

٦- أين طوفان صاحب الفلك ؟ يروى ... هذه النار فهى تشكى الأوار[١]
٧- اشعلت فحمة الدياجى فباتت ... تملأ الأرض والسماء شرارا[٢]
٨- غشيتهم والنحس يجرى يمينا ... ورمتهم والبؤس يجرى يسارا [٣]
٩-فأغارت وأوجه القوم بيض ... ثم غادرت وقد كستهن قارا[٤]
١٠ - أكلت دورهم فلما استقلت ... لم تغادر صغارها والكبارا [٥]
١١- أخرجتهم من الديار عراة ... حذر الموت يطلبون الفرارا
١٢- يلبسون الظلام حتى إذا ما ... اقبل الصبح يلبسون النهارا
١٣- حلة لا تقيهم البرد والحـ ... ـر ولا عنهم ترد الغبارا
١٤- أيها الرافلون فى حلل الوشـ ... ـى يجرون للذيول افتخارا[٦]
١٥ - إن فوق العراة قوما جياعا ... يتوارون ذلة وانكسارا [٧]
١٦- ايهذا السجين لا يمنع السجـ ... ـن كريما من أن يقيل العثارا[٨]
١٧- مر بألف لهم وإن شئت زدها ... وأجرهم كما أجرت النصارى[٩]
١٨-قد شهدنا بالأمس فى مصر عرسا ... ملأ العين والفؤادا انبهارا [١٠]

---

[١] صاحب الفلك : نوح عليه السلام ، الأوار : شدة الحرارة والعطش .

[٢] فحمة الدياجى : ظللمة الليل .

[٣] غشيتهم : غطتهم ، القاموس (٤ : ٣٦٢ والنحس : الأمر المظلم والريح الباردة إذا أدبرت والغبار فى اقطار السماء وهو ضد السعد وعام نحيس مجدب القاموس (٢ : ٢٥١) .

[٤] أغارت ك أقبلت عليهم ، وغارت : ذهبت ، قار : زفت .

[٥] استقلت : أى عدت ما أحرقت من الدور قليلا .

[٦] الرافلون : المختالون والمتبخترون من رفل رفلا ورفلانا وأرفل جر ذيله وتبختر أو خطر بيده - انظر القاموس (٣ : ٣٧) وحلل الوشى : الثياب المنقوشة .

[٧] العراء : الفضاء يتوارون يستترون .

[٨] السجين : المنشاوى ياشا وكان ثريا مسجونا لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة الخديوى عباس حلمى الثانى حتى اضطرهم من شدة العذاب إلى الإقرار بما سرقوا ، والعثارا : الزلل . انظر المعجم الوجيز ص ٤٠٦ ط ١٩٩٥ م وف القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم .

[٩] أجرهم كما أجرت النصارى أحمهم كما حميت الأوربيين من أذى المصريين وأدخلتهم بيتك أيام الثورة العرابية

[١٠] عرسا : زواج كريمة على فهمى باشا من الأمير رشدى وقد أعد لهذا العرس مهرجانا كبيرا بمنزل والد العروس استمر ثلاثة أيام .

١٩ -سال فيه النضـــار حتـــى حسـبنا أن ذاك الفناء يجـــرى نضـــارا [١]
٢٠- بـــات فيـــه المنعمـــون بليـــــل أخجل الصبـــح حســـنه فتـــوارى
٢١ - يكتسبون السرور طورا وطـــورا فى يد الكـــأس يخلعـــون الوفـــارا
٢٢ - وسمعنا فى ميت غمـــر صياحـــا مـــلأ الـــبر ضجـــة والبحـــارا
٢٣ - جل من قســـم الحظـــوظ فـــهذا يتغنـــى وذاك يبكـــى الديـــارا[٣]
٢٤ - رب ليل فى الدهر قد ضم نحســـا وســـعودا وعســـرة ويســـارا

كيفية تناول الحدث عند حافظ :

بدأ حافظ أبياته من (١ - ٣) صارخا ضائقا متألما ومتحسرا لهذا الحـــدث الجلل الذى ألم بهذه المدينة المنكوبة طالبا الناس جميعا أن يسألوا الليل عما حـــدث لهل ميت غمر مستخدما اسم الفاعل " سائلوا " الذى يفيد التفخيـــم والتـــهويل لـــهذا الحدث الخطير مستخدما الاستعارة التبعية فى اسم الفاعل والمكنية فى (الليـــل) ولا غرابة فى ذلك ، لأنه أحس بفجيعتهم وتألم لألمهم لأنه قد عاش فى مستوى هـــؤلاء الناس ولذلك استهل أبياته الثلاثة بهذا الاستفهام المجازى الذى أفاد التهويل والتفخيم إذ يقول : كيف باتت النساء والعذارى فى ليلة الحريق ؟ وكيف أمسى رضيعهم بعـــد فقد أمه تحت الأنقاض ؟ وكيف تحمل هذا الرضيع لهب هذه النار مـــع القـــوم ؟ ثـــم يسأل أيضا كيف هلكت العجوز تحت الجدران المتهدمة وتحت الأسقف التى أســـرعت فى السقوط والانهيار ؟ أما فى الأبيات (٤ - ٦) جأر حافظ إلى ربه يناديه ويناجيـــه ويدعوه بان يزيل الكرب عن هؤلاء المنكوبين وأن يحجب عنهم الأقدار ، وأن يمنـــع عنهم النار ويرسل الغيث المدرار لإطفائها بل يرسل طوفان كطوفـــان نـــوح عليـــه السلام ليرويها لأنها تشكو من شدة الحرارة والعطش .

وفى البيت (٧) يشبه حافظ النار بالنجم إذ اشـــتعلت ظلـــم الليـــل و مـــلأت الأرض والسماء لهبا وشرارا .

---

[١] النضار : الخالص من كل شىء ويراد به الرونق والبهجة انظر المعجم الوجيز ص ٦٢٠ مادة نضر وفى القـــاموس (٢:١٤٢) النضار بالضم الذهب والفضة الخاص من التبر والخشب والنضرة : النعمة والعيش والغنى والحسن .
[٣] النحس : ضد السعد أى الشؤم ، والعسرة ضد اليسار أى الضيق والفقر .

وفى الأبيات من (٨ – ١٣) يتحدث حافظ عن حالهم بعد هذه النيران التى غطتهم وتمكنت منهم شر تمكن فأصبح الخراب والدمار والجدب والقحط يجرى بهم يمينا ، وكذلك البؤس يجرى بهم شمالا ،– وحينما أقبلت عليهم كانت أوجه القوم بيض ، وبعد أن ذهبت وانطفأت تركتهم سودا كالقار ، وقضت على كل أخضر ويابس. حرقت الدور والصغار والكبار وأجبرتهم من فظاعتها على الهروب حفاة عراة خشية الموت ولكنهم لم ينج منهم إلا القليل الذى استطاع الفرار بنفسه تاركا عياله وأمواله ، مرتديا حلة خفيفة لا تقيه من شدة البرد ولا تحفظه من لفح الحر ولا تمنع عنه الغبار .

وفى الأبيات من (١٤ – ١٧) ينادى هؤلاء الأغنياء المترفهين المتبخترين والمتنعمين ويقول لهم : يا من تتبخترون وتختالون وتجرون أذيال ثيابكم تيها

وفخرا ، هناك فى الفضاء أناسا جياعا يستترون ذلة وانكسارا ، فمدوا لهم يد المساعدة وعاونوهم بالملبس والمأكل .

كما أنه نادى المنشاوى وندد به قائلا له : إن سجنك لا يمنعك من ان تدفع الشر والمكروه عمن نزل بهم ، ويطلب منه أن يقدم لهم المساعدات ، وأن يحميهم لأنهم أولى من الأوربيين الذين آواهم وأجارهم فى بيته أيام الثورة العرابية– كما ذكرنا – كما نجده فى الأبيات (١٨ – ٢١) يشير إلى هذا البذخ والترف والنعيم الزائد حيث يتحدث عن هذا العرس الذى استمر ثلاث ليال يسيل فيه الذهب والفضة ، وأن ساحة الدار يجرى فيها النضار ، وينعم فيها المتنعمون حتى لكان الدار يجرى فيها الذهب من كثرة ما يلقى على الناس . ون هؤلاء المتنعمين يكتسون السرور حينا وحينا آخر وهم يكرعون الخمر يخلعون الوقار ز

وفى الأبيات (٢٢ – ٢٤) يقول حافظ : سمعنا صياحا فى هذه المدينة قد ملأ البر والبحر صخبا وضجة وصراخا ، ولقد عظم من قسم الحظوظ فالبعض يغنى ويمرح والآخر يبكى وينوح .

ثم يختم أبياته بقوله : رب ليل قد ضم بؤسا وشقاء لنوع من الناس وخـــيرا وفرجا لآخرين .

ثانيا : حريق ميت غمر فى وجان شوقى :

التعريف بشوقى (١) :

إن أمير الشعراء أحمد شوقى اشهر من نار على علم ، ولذلك نعـــرف بـــه تعريفا موجزا . ولد شاعرنا أحمد شوقى فى عام ١٢٨٥ هـــ - ١٨٦٩ م مـــن أب كردى شركسى وأم تركية يونانية ، وكان ووالده ثريا عمل أمينا للجمارك المصريـــة وقد أضاع والده جميع ماله فكلفته جدته لأمه منذ أن كان فى المهد ، وكانت تعمـــل وصيفة فى قصر الخديوى فتربى شوقى فى القصر عاش عيشة رغدة فـــى أحضـــان الترف والنعيم .

ويعد أحمد شوقى من أشهر شعراء العصر الحديث إذ يتمتع بثقافات متعـــددة كالعربية والتركية والفرنسية . وقد لقب شاعرنا بأمير الشعراء وقد ذاع صيته وحلق فى الأجواء ، كما تناول معظم الأغراض الشعرية من مدح ورثاء وغزل ووصف وقد جدد شوقى فى أغراض الشعر حيث أدخل الشعر المسرحى فى الأدب العربى وعمـــل عدة مسرحيات منها : مسرحية الست هدى ، وقمبيز ، وعلى بك الكبير ، وعنـــترة ، ومجنون ليلى ومصرع كليو باترا ، بالإضافة إلى أنـــه تنـــاول الأحـــداث السياســـية الاجتماعية ، له ديوان شعر كبير مطبوع يسمى بالشوقيات ، وقد بايعه أدباء العـــرب فى دار الأوبرا بإمارة الشعر سنة ١٩٢٧ م وتوفى فى عام ١٩٣٢ م .

قصيدة شوقى فى حريق ميت غمر

١-الله يحكم فى المدايـــن والقـــرى ... يا ميت غمر خذى القضاء كما جـوى[١]
٢- ما جل خطب ثم قيـــس بغـيره ... إلا وهونـــه القيـــــاس وصغـــرا
٣- فسلى عمورة [٢] أو ســـدون[٣] تأسيا ... أو مرتنيق غـــداة ووريـت الـثرى
٤- مدن لقين من القضـــاء ونـــاره ... شررا بجنـب نصيبـها مستصغرا
٥- هذى طلولك أنفســـا وحجـــارة ... هل كنت ركنا من جـــهنم مسـعرا ؟
٦- قد جئت ابكيها و آخـــذ عـبرة ... فوقفـت معتـبرا بـها مســـتعيرا
٧- أجد الحياة حياة دهـــر ســاعة ... وأرى النعيـــم عمـــر مقصـــرا
٨- وأعد من حزم الأمور والشقاء روايـة ... للنفـس أن ترضـى وألا تضجـــرا
٩- مـــا زلـــت أســمع بالشـــقاء ... حتى رأيت بـــك الشـقاء مصـورا
١٠ - فعل الزمان بشمل أهلك فعلـه ... ببنـــى أميـــة أو قرابـــة جعفـــرا [٤]
١١- بالأمس قد سكنوا الديار فاصبحوا ... لا ينظـــرون ولا مســاكنهم تـــرى

---

(١) الشوقيات (٤-٣٢) نشرت ١٩٠٥ م مجلة المجلة العربية ، وديوان شوقى د/ أحمد محمد الحوفى ، ط دار نهضة مصر ص ٥١-٥٣ ، وفيه فى المدائن بهمزة على نبرة بدلاً من الياء .

مداين : الأصل كما فى القاموس مدائن جمع ، ومدين : قرية شعيب ، والمدائن : مدينة كسرى انظر القـاموس (٢ : ٢٦٦) نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ط سنة ١٣٠٢ هـ .

(٢) عمورة لعل شاعرنا يقصد بعمورة : إما عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه أو هى بلد من بلاد الروم غزاه المعتصم وحرق الأفشين بالنار وصلبه بجوار بابك وما زياد وقيل سميت بعمورية بنت الروم بين اليقز ابن سام بن نوح عليه السلام وقد ذكرها ألو تمام فى شعره انظر شرح ديوان أبى تمام شرح وضبط شاهين عطيه ط دار الكتب العلميـــة بيروت ط أولى .

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وإما عمورية وهى بليدة على شاطىء العاصى بن قاميه وشيزر فيها آثار خرب ولها دخل وافر ولها رحى تغل مالا .

(٣) أما سدون بالنون فبعد قراءة متفحصة عميقة فى كتب التاريخ والجغرافيا والأطلس العربى وفى كتب المعـــاجم المختلفة لم أعثر عليها بالنون ، ولذلك أرى أنها سدوم بالميم وهى إحدى القرى الأربع التى أرسل إليها لوط عليـــه السلام وهى : سدوم ، وداذوما ، وعمورا ، وصبوائيم ، ولكن سدوم أعرف هذه القرى ولذلك غلبت على غيرها من القرى وبقاضى سدوم يضرب المثل فى الجور وتقع بجوار البحر الميت انظر الأطلس العربى ص ٣٣ ، مجلة منبر الإسلام ص ١٧١ العدد (٧) السنة (٣١) رجب سنة ١٣٩٣ هـ أغسطس سنة ١٩٧٣ م ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣ : ١٢٩) لأبى عبيد البكرى الأندلسى ط عالم الكتب تحقيق مصطفى السقا .

(١) مداين : الأصل كما فى القاموس مدائن جمع ، ومدين : قرية شعيب ، والمدائن : مدينة كسرى انظر القـاموس (٢ : ٢٦٦) نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ط سنة ١٣٠٢ هـ .

(٤) جفرا : هو جعفر البرمكى وزير هارون الرشيد الذى أحب أخت هارون الرشيد فقتله ونكب بأهله وعرفـــت هذه الحادثة بنكبة البرامكة وبنى أمية : يقصد إسقاط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية مكانها .

١٢-فإذا لقيت لقيت حيا بائسا ... وإذا رأيت رأيت ميتا منكرا[١]

١٣-والأمهات بغير صبر هذه ... تبكى الصغير ، وتلك تبكر الأصغرا

١٤-من كل كودعة الطلول دموعها ... من أجل طفل فى الطلول استأخرا

١٥-كانت تؤمل أن تطول حياته ... واليوم تسأل أن يعود فيقبرا

١٦-طلعت عليك النار طلعة شؤمها ... فمحتك آساسا وغيرت الذرا[٢]

١٧-ملكت جهاتك ليلة ونهارها ... حمراء يبدو الموت منها أحمرا

١٨ -لا ترهب الطوفان فى طغيانها ... لو قابلته ولا تهاب الأبحرا

١٩-لو أن (نيرون) الجماد فؤاده ... يدعى لينظرها لعاف المنظرا[٣]

٢٠ -أو أنه ابتلى الخليل بمثلها ... استغفر الرحمن ـ ولى مدبرا

٢١-أو أن سيلا عاصم من شرها ... عصم الديار من المدامع ما جرى

٢٢ -أمسى بها كل البيوت مبوبا ... و مطنبا ومسيجا ومسورا[٤]

٢٣-اسرتهمو وتملكت طرقاتهم ... من فر لم يجد الطريق ميسرا

٢٤-خفت عليهم يوم ذلك موردا ... وأضلهم قدر فضلوا المصدرا

٢٥-حيث التفت ترى الطريق كأنها ... ساحات حاتم غب نيران القرى[٥]

٢٦.وترى الدعائم فى السواد كهيكل ... خمدت به نار المجوس وأقفرا[٦]

٢٧.وتشم رائحة الرفات كريهة ... وتشم منها الثاكلات العنبرا[٧]

---

[١] بائسا : فقيرا معدما ، منكرا : محول إلى رفات وعظام نخرة .

[٢] أساس : جمع اس وهو الأساس قاعدة البناء التى يقام عليها وأصل كل شيء مبدؤه انظر المعجم الوجيز ص ١٦ - وفى القاموس الأس مثلثة : أصل البناء كالأساس انظر (٢ : ١٩٥) متن القاموس .

[٣] نيرون : الملك الرومانى الجبار الذى يقال : إنه أحرق روما وجلس يعزف.

[٤] مبوب : له باب ، ومطنب : مشدود بالحبال انظر المعجم الوجيز ص ٣٩٤ ، ومسيج : حول سياج وسور ، وسجا : سكن ، سجى عطا ـ انظر المعجم الوجيز ص٣٠٤

[٥] الغب : بالكسر عاقبة الشيء القاموس (١: ١٠٨) والمعجم الوجيز ص ٤٤٥ ، وغب نيران القرى : بعد نيران الضيافة . وحاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم .

[٦] هيكل : بناء ضخم للعبادة عند المجوس : عبادة النار .

[٧] الثاكلات : اللاتى فقدن أزواجهن بسبب الحريق .

٢٨.كثرت عليها الطير فى حوماتـها ... يا طير كل الصيد فى جوف الفـرا[١]
٢٩. هل تأمنين طوارق الأحـداث أن ... تغشى عليك الوكر فى سنة الكرى[٢]
٣٠.والناس من دانى القرى وبعيدها ... تأتى لتمشى فـى الطلـول وتخـبرا
٣١. يتساءلون عن الحريق وهوله ... وأرى الفرائس بالتساؤل أجـدرا [٣]
٣٢.يارب قد خمدت وليس سوك من ... يطقى القلـوب المشـعلات تحسـرا
٣٣. فتحوا اكتتابا للإغاثة فـاكتتب ... بالصبر فهو بمـا لـهم لا يشـترى
٣٤. إن لم تكن للبائسين فمن لهم ؟ ... أو لم تكن للاجئيـن فمـن تـرى ؟
٣٥. فتول جمعا فى البيـان مشـتتا ... وارحم رسميا فى التراب مبعـثرا [٤]
٣٦. فعلت بمصر النار ما لم تأتـه ... آياتك السبع القديمة فـى الـورى[٥]
٣٧. أو ما تراها فى البلاد كقـاهر ... فى كـل ناحيـة يسـير عسـكرا ؟
٣٨. فادفع قضاءك أو فصير نـاره ... بـردا وخـذ بـاللطف فيمـا قـدرا
٣٩. مدوا الأكف سخية واسـتغفرى ... يـا أمـة قـد آن أن تسـتغفرا
٤٠. أولى بعطف الموسرين وبرهـم ... من كـان مثلـهم فـأصبح معسـرا
٤١-يا أيها السجناء فـى أموالـهم ... أأمنتمـوا الأيـام أن تتغـيرا ؟ [٦]
٤٢-لا يملك الإنسان مـن أموالـه ... مـا تملـك الأقـدار مـهما قـدرا
٤٣-لا يبطرنك من حريـر موطـئ ... فلرب مـاش فـى الحريـر تعـثرا
٤٤-وإذا الزمـان تنكـرت أحداثـه ... لأخيـك فـاذكره عسـى أن تذكـرا

---

[١] الفرا : حمار الوحشى او فتيه ويجمع على أفراء وفراء وكل الصيد فى جوف الفرا بغير همزة القاموس (١ : ٢٣) وكل الصيد فى جوف الفرا : مثل عربى قديم ملخصه : أن ثلاثة اصطاد أحدهم أرنبا والآخر غزالا والثالث حمـارا وحشيا وهو الفرا فلما تطاولا عليه قال : كل الصيد فى جوف الفرا أى أن الحمار يشتمل على صيدكما . انظـر ديوان شوقى لأحمد الحوفى ط دار نهضة مصر ص ٥٢ .

[٢] الكرى : النوم .

[٣] الفرائس : جمع فريسة وهى ما يفرسه السبع من الحيوان – انظر المعجم ص ٤٦٧ – وفى مختار الصحاح فـرس الأسد فريسة من باب ضرب أى دق عنقها وافترسها ص ٢٢٦ .

[٤] اليباب : الفقر ، الرسيم : ما تبقى من آثار العظام النخرة .

[٥] آياتك السبع : النكبات السبع التى ابتلى الله بها الفراعنة كما ورد فى قوله تعالى : " ولقد أخذنا آل فرعـون .. الخ الآية " وقوله تعالى : " فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع .. الخ الآية البتان (١٣٠ ، ١٣) من سورة الأعراف .

[٦] السجناء : المراد البخلاء فى أموالهم .

كيفية تناول الحث عند شوقى :

إن شوقى تربى فى القصور وعاش عيشة الأمراء فلم يعرف للشقاء لونا ولم يحسه كحافظ إبراهيم إلا أنه يسمع عنه عن طريق الرواة لذلك بدا أبياته بالجملة الاسمية التى تفيد الثبوت والدوام وتؤكد أن الله عز وجل هو الحاكم للمداين والقرى دون غيره طالبا من أهل ميت غمر بأن يتجلدوا ويصبروا ويؤمنون بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره وأن يتأسوا بغيرهم من المدن التى نكبت مثلهم حتى تهون عليهم مصيبتهم وكذلك يقول فى البيات من (١ : ٤) .

١- الله يحكم فى المداين والقرى يا ميت غمر خذى القضاء كما جرى
٢- ما جل خطب ثم قيس بغيره إلا وهونه القياس وصغرا
٣- فسلى عمورة أو سدون تأسيسا أو مرتنيق غداة ووريت الثرى
٤- مدن لقين من القضاء وناره شررا بجنب نصيبها مستصغرا

أما فى الأبيات من (٥ - ٩) ينتقل شوقى بجسده وحسه إلى ميت غمر ليشاهد الحادثة بنفسه وذلك بخلاف حافظ إبراهيم لم يذهب إليها ، وقد أشار شوقى إلى الآثار المتبقية من الدور ورفات العظام النخرة مستخدما الاستفهام التقريرى الذى يفيد أنها كانت مثل ركن من جهنم المستعرة ، ثم يقول : جئت إلى هذه المدينة المنكوبة لأبكيها وآخذ العبرة والموعظة من هذا الحادث الجلل فوقفت أمامها معتبرا متعظا باكيا داميا ووجدت أن الحياة لا تدوم والنعيم قد يزول ، وانه يجدر بالإنسان العاقل الرشيد أن يرضى بقضاء الله وقدره ، وألا يسخط إذا أصابه مكروه ، لأنه إذا صبر أجر ، وإذا جزع أثم ثم يشير إلى عيشته المترفهة الناعمة الرقيقة قائلا : ما زلت اسمع عن طريق الرواية بالشفاء والبؤس حتى رايته رأى العين لاحقا بميت غمر .

وفى البيات من (١٠ - ١١) يصف شوقى أهل ميت غمر بعد الحريق فيقول إن الزمان قد فعل بأهل هذه المدينة وجار عليها كما فعل ببنى أمية حين جار عليهم العباسيون وأسقطوا دولتهم ، وكما نكب الرشيد بالبرامكة بعد أن قتل وزيره جعفر عندما أحب أخته .

ونراه يقول فى البيت (١٢) : إذا قابلت أحدا تجده فقيرا معدما ، وإذا شاهدت ميتا تشاهده قبيح المنظر والمخبر ، تعافه النفس فهو عبارة عن أشلاء محروقة ورفات وعظام نخرة بالية .

أما فى الأبيات من (١٣ – ١٥) يقول : إن الأمهات تجدها جزعات هلعات غير متجلدات إحداهن تبكى الصغير الذى فقدته ، والأخرى تبكى الرضيع الذى فقد منها من شدة هول الحريق ، وثالثة مولعة الطلول دموعها من أجلا طفلها الذى استأخرا تحت الآثار والأنقاض ، والتى كانت تؤمل أن تطول حياته ويخرج حيا ، ولكنه طال مكثه ولم تعرف حقيقته حتى تمنت أن يعود ميتا فيدفن وتستريح ويهدأ بالها على فلذة كبدها الذى تعرف مصيره ولا حقيقته .

ثم يستمر شوقى فى البيات من (١٦ – ١٩) فى وصف النيران فيقول لقد طلعت عليك النار طلعة شؤم فأزالت أساس الديار التى بنيت عليه وهشمت ذراها وكأنها لم تكن وأن النار أحاطت بالمدينة من كل جانب وأنها حمراء من شدتها لا تخاف الطوفان والبحار لأنهما لا يؤثران فيها بل لو يدعى (نيرون) المعروف بقسوة قلبه وجموده ليشاهد هذه النيران لعاف منظرها ومنظرها من خلفته وراءها ، ثم لشدة هذه النيران وقوتها يقول شوقى فى البيت (٢٠) :لو ابتلى سيدها إبراهيم الخليل عليه السلام بمثلها لولى مدبرا إذ أنها أشد من نار فرعون التى ألقى فيها وأستغفر الرحمن من هذا التعبير وهنا نعترض على الشاعر فى التعبير (بأو) فى قوله : أو أنه ابتلى الخليل لأنها لم تأت فى موضعها من حيث إنه خير السامح ما بين ظالم جاحد (نيرون) يفعل الشر وبين نبى صالح صابر وصفه الله بأنه أمة .

كما لم نوافقه فى قوله : ولى مدبر مع إتيانه بالجملة المعترضة وإن كانت مبالغة مقبولة أجازها البلاغيون إلا لأنها لم تصادف موقعها ،كما أن ذلك لا يليق مع نبى معصوم من أنبياء الله الصالحين .

وفى البيت (٢١) يقول شاعرنا :لو أن سيلا يعصم ويحفظ من شرها الديار ما جرى هذا السيل ولتوقف دون أى تأثير .

وفى الأبيات (٢٢. ٢٤) يقول : وفى المساء قد صارت جميع البيوت ما بين مبوب ومطنب أو مسيح ومسور ، وقد جعلت النار أهل هذه المدينة مأسورين حيث أحاطت بهم من كل جانب وسيطرت على المداخل والمخارج وجعلتهم كالأسرى ، ومن أراد منهم الفرار لم يستطيع ولم يجد الطريق أمامه سهلاً -بل لقد أسرعت وأقبلت عليهم يوم ورودها ، ولقد أضلهم القدر فلم يعرفوا مصدرها.

وأرى أن الشاعر لم يوفق فى التعبير بقوله : وأضلهم قدر لأنه لا يجدر من شاعر مسلم ، يقول مثل ذلك ،لأن القدر من عبد الله عز وجل والله حكيم خبير بعباده يفعل ما يشاء ويختار وكل شى عنده بمقدار [1]

وفى الأبيات من (٢٥. ٢٧) يقول شاعرنا متى التفت ترى الطريق مزدحمة بالناس مضيئة وكأنها ساحات حاتم الطائى والنيران فى نهايتها وعاقبتها هادئة وصافية ، بل ونرى أساس المنازل فى الظلام كهياكل خمدت به نار المجوس وصار قفرا موحشا خرابا لا أحد فيه تشم رائحة عظام الموتى كريهة وتشم منها الثاكلات الرائحة الطيبة الزكية لأنهم بمثابة الشهداء عند الله عز وجل .

وفى الأبيات من (٢٨. ٣١) يقول شوقى من مآثر هذا الحريق أن ازدحمت الطير بالمدينة تأكل من بقايا أشلاء المحروقين والموتى ولكن يا أيتها الطيور لا تفرحين فكل الصيد والطير فى جوف الحمار الوحش وأنك لا تأمنين طوارق الأحداث فقد يعتدى عليك وأنت فى عشك فى سنة من النوم ، والناس تأتى من قريب ومن بعيد لتشاهد تلك الآثار وما حل بها وتخبر عما حدث لها .

والأبيات من (٣٢: ٣٨) دعاء وتضرع إلى الله برفع الكرب وإلهامهم الصبر . فقد نادى شوقى ربه داعيا متضرعا بعد انطفاء النيران أن يرفع الكرب عنهم وأن يلهمهم الصبر والسلوك عما فقدوا من مال وأهل ، وان يطفئ قلوبهم المشتعلة من شدة الحسرة على ما فقدوا . ويقول إن هؤلاء البائسين المنكوبين فى أموالهم وأهليهم ليس لهم معين ولا ناصر ولا ملجأ سواك .

---

[1] من الآية رقم (٨) من سورة الرعد .

وقد تأثر أمراء البيان _ كما ذكرنا فى التمهيد _ بهذه الحادثة الفظيعة ودعوا إلى التبرع ببذل المال لإغاثتهم وإعانتهم .

ثم يدعو شاعرنا بأن يحفظ هذا الجمع المشتت فى الخراب ويتولاهم ، وأن يرحم من مات منهم وأصبح أثر باقيا مبعثرا فى الترب ، ويطيب ثراهم ، ويجعل الجنة مأواهم ثم يقول .

إن النار لقد أضرت بمصر جميعها ، وقضت على كل أخضر ويابس ، وأصابتها بالبلاء والمحن وفعلت بها ما لم نفعله الآيات السبع القديمة بآل فرعون حينما دعا موسى ربه أن ينتقم من آل فرعون عندما لم يؤمنوا به فنزل قوله تعالى : " فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين " .

ثم يقول شاعرنا : إن النار قد أصبحت لها الرهبة وهيبة حتى لكأنها صارت كظالم مستبد ينشر أعوانه المستبدين فى كل ناحية ، ثم يجار داعيا ربه أن يدفع قضاءه عنهم ، أو يصير هذه النيران بردا وسلاما عليهم ، وأن يلطف بهم فيما جرت به المقادير .

وفى البيت (٣٩) حث الأغنياء لمساعد هؤلاء المنكوبين إذا ينصح الشاعر هؤلاء الأغنياء ويرشدهم على أن يمدوا يد المساعد لهؤلاء البؤساء المتضررين من هذا الحريق ، كما يأمرهم أن يطلبون المغفرة من الله سبحانه وتعالى على تقصير هم وعدم مساعدتهم لهؤلاء المنكوبين .

وفى البيت (٤٠) يقول أمير الشعراء : إن ألى الناس بعطف الأغنياء وبرهم من كان مثلهم فى الغنى ثم أصبح معسرا بسبب القضاء والقدر .

أما فى البيت (٤١) ينادى هؤلاء الأثرياء السخناء فى أموالهم والبخلاء فى أنفسهم وأولادهم عن طريق الاستفهام الذى يفيد النفى والتوبيخ أأمنتم ألا تغدر بكم الأيام وألا ينقلب عليكم الدهر ؟

ثم يقول فى البيت (٤٢) : إن الإنسان لا حول له ولا قوة أمـــام قضـــاء الله وقدره ،ولم يستطع أن يرد عنه مكروه إذا قدره الله عليه .

أما فى البيتين (٤٣. ٤٤) يقول : لا تغير بمالك وجاهك وسلطانك مـــهما كنت تمشى على الحرير ونطأه ،فرب ماش على الحرير تعثر ووقع ، وحصل له مـــالا يحمد عقباه .

ثم يختم أبياته : ناصحا ومرشدا بأن الزمان إذا تنكرت أحداثه لشخص مـــا، واصبح معسرا بعد ثرائه فساعده وقدم له يد المساعد ، عس إن يقدم لك هذا الجميـل إذا تنكر لك الدهر وصدق أبو البقاء الرندى فى قوله : [1]

لكل شـــىء إذا مـــا تـــم نقصـــان فلا يغـــر بطيـــب العيـــش إنســـان
هى الأمـــور كمـــا شـــاهدتها دول من ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

موازنة بين القصيدتين

أولا : الوحدة الموضوعية والعضوية فى كلتا القصيدتين :

١. الوحدة الموضوعية فى القصيدتين واضحة جليلة حيـــث إن عنـــوان القصيدتيـــن واحد وهو حريق ميت غمر

٢. الوحدة العضوية أو الفنية فى القصيدتين ظاهرة ومتمثلـــة فـــى توافـــق الفكـــار والمعانى مع الأسلوب والصور والخيالات والموسيقى

ثانيا: كلا القصيدتين رائية ومن بحر الكامل

ثالثا : العاطفة والتجربة الشعرية فى القصيدتين :

فى قصيدة حافظ نرى الشاعر يسيطر عليه الحزن ويملكه الألم ويكاد يغلبـــه الدموع حيث بلغت عاطفته ذروتها ، لاندلاع الحريق بهذه المدينة التى قضت عليـــها

---

[1] انظر نفح الطيب للمقرى (٦ : ٢٣٢) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

صروف الدهر ونوائبه قضاء مبرما حيث ترملت النساء وتيتمت الأطفـــال والرضـــع بسبب تلك الحريق الفادحة التى لم تبق على شئ يذكر وقضت على كل أخضر ويابس ،وليس أقس من ذلك تجربة ولا أعنف من ذلك عاطفة وقد صورها الشاعر فـى ذروة ألمه وانفعاله .

أما فى قصيدة شوقى فنرى أن الشاعر قد تألم لهذا الحادث وتأثر تأثراً بالغا لا يقل عن تأثر حافظ ،بل زاد حيث ذهب بنفسه وشاهد ما خلفته الحريق ، فزاد فـــى وصفها وتألم لما شاهد ببصره وأدركه بحسه حيث وقف هناك فى مدينة ميت غمـــر أمام هذا الحدث الخطير ، والخطب الفادح ، والأشلاء المتفرقة والعظام البالية متعظـا باكيا داميا ، أمر من ذلك تجربة ولا أحر من ذلك عاطفة ، إلا أن شوقى قد زاد عن حافظ فى تحكمه فى زمام نفسه وسيطرته على مقاليد الأمور وأخذ يخاطب أهل هـــذه المدينة ويحثهم على الصبر والتجلد ، والرضى بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلـوه ومره ، طالبا منهم أن يتأسوا بغيرهم من المدن التى نكبت أمثال "عمورة ،وسدون ، ومرتنيقق " .

رابعا : من حيث الألفاظ والأساليب :

أولا : من حيث الألفاظ :

ألفاظ القصيدتين سهله لا غرابة فيها ولا التواء ولا غموض إذ تخير كلاهمـا ألفاظه وانتقاها ، وابتعد عن استعمال الوحـــش والغريـــب ، إلا أن شـــوقى زاد فـــى استعماله مصطلحات عصرية من حيث تقسيم موطن الإنســـان إلـــى قـــرى ومـــدن بمواصفات خاصة على خلاف المعروف عند أصحاب المعاجم .

ونرى أن حافظ لم يوفق فى استخدامه كلمة اصطلى صحيح وإن أتت بمعنـــى أصابته حرها ، أنها لم تأت صريحة فيما أصاب هذه البلد من حريـــق مـــروع خلـــع القلوب وهلعت له الوجدان والمشاعر ، لأن الاصطلاء أكثر ما يحتمل على الانتفـــاع

به لا على المضرة وذلك كقوله تعالى : لعلكم تصطلون [١] وقول المتنبى فى وصف كلب الصيد [٢] :

يقعى جلوس البدوى المصطلى بأربع مجدولة لم تجدل

وكان الأجدر بحافظ أن يقول : صلى ، أو تلظى أو سعر من المفردات التى حواها الكتاب العزيز والتى تفيد ألم الإحراق وشدته فان الحريق لما ذكر لم يكن لحرق البيوت فقط وإنما هلك فيه قوم كثيرون .

كما أننا نرى حافظ فى البيت الحادى عشر عبر بالمضارع بقوله :

" يطلبون " ولو عبر بالمصدر لكان أفضل ، ولكن نلتمس لحافظ العذر فى تعبيره بالمضارع لسببين أولهما : خوف وقوع زحافات وعلل فى تفعيلات البيت :

وثانيهما : إرادة تجدد الحدوث كأن النار شبح يطارد هؤلاء الفزع وكذلك كلمة "العراء" فى البيت الخامس عشر ، لعل شاعرنا يقصد بها أنهم عراة الأجساد وليس الأرض الفضاء كما ذكر شارح الديوان [٣]

لأننا لا نظن شاعرا مثل حافظ يقصد بها ذلك لأنه تحدث عنهم وعن مقاساتهم العرى والألم فى البيت الحادى عشر ، ولذلك نرجح أن يكون المقصود بكلمه (العراء) عرى أجسادهم ، لأن الشطر الثانى يرشح ذلك وهو قوله :

..... يتوارون ذلة وانكسارا

والتوارى لا يكون إلا عن عرى ، أما الجائع فانه يتعرض للسؤال أو لشكاية الحال ، من يمعن النظر ويدقق الفكر فى هذه القصيدة يلاحظ أن لغة حافظ أقرب إلى المتلقى من لغة شوقى .

---

[١] من الآية رقم (٧) من سورة النمل .

[٢] انظر ديوان المتنبى ص ٣٢٠ جمع وتحقيق عبد الرحمن البرقوقى نشر دار الكتاب العربى.

[٣] ديوان حافظ إبراهيم ضبط وتصحيح وتوثيق أحمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الإبيارى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٧ م ص ٢٥١ رقم (٣) هامش .

أما إذا نظرنا إلى الألفاظ عند شوقى فنجده قد زاد عن حافظ كما ذكرنا فى استعماله مصطلحات عصرية كذكره فى البيت الأول " المدن والقرى " لما فيه من حسن تقسيم وكذلك براعة الاستهلال من شوقى فى تبركه بلفظ الجلالة الله ، كما عبر بالمضارع بقوله : يحكم لإفادة التجدد والحدوث ، كما أتى فى البيت السادس بكلمة *قد * التى تفيد التحقيق ، وكذلك تعبيره بالضارع فى قوله : أبكيها لتجدد الحدوث . وكذلك إتيانه فى البيت العشرين بلفظ " أو " مع أننا نرى أنها فى غير موضعها من حيث خير السامع ما بين ظالم جاحد " نيرون " يفعل الشر وبين نبى صالح صابر بر وصفه الله بأنه لأمة فى قوله تعالى :

" إن إبراهيم كان أمة " [1]

ثانيا : من حيث الأساليب :

أساليب القصيدتين بصفة عامة سهلة واضحة التركيب ومعظمها خبرية لأنها تحكى ما يحدث فى هذا الحريق وما خلفته وراءها من أضرار جسيمة وأثار بالغة المدى ومن ذلك على سبيل المثال عند حافظ الأبيات (٧،٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢،١٣) أما عند شوقى فالأبيات (٣، ٤، ٦، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،١٩ ، ٢٠ ، ٢١، ٢٢) كما تخلل هذه الأبيات الخبرية بعض الأساليب الإنشائية كالنداء والدعاء ، والأمر ، والاستفهام انظر أبيات حافظ رقم (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥، ٦ ،١٤ ، ١٦ ، ١٧) ، وأبيات شوقى رقم (١ ، ٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣) وإذا نظرنا إلى البيت الأول عند حافظ نجد الاستفهام فى قوله : "كيف باتت" ليس على الحقيقة وإنما على سبيل الجاز ، لأنه يحمل فى طياته التألم والتوجع والتحسر على ما أصاب أهل هذه المدينة من نساء وعذارى ، وإن كانت العذارى من النساء إلا إنه خصوص بعد عموم لبيان عظيم البلية لمعرفة أن العذراء أشد حياء وخجلا من التى مارست الرجال وهى أولى بالحجال فكونها تفزع وتخرج لا تجد مأوى فإنما يدل على عظيم الخطر .

---

[1] من الآية رقم (١٢٠) من سورة النحل .

وكذلك الاستفهام فى البيتين الثانى والثالث فى قوله : " كيف أمس " وكيف اصطلى ، وكيف طاح ؟ يفيد التفخيم والتهويل .

وفى البيت الرابع قوله : " رب إن القضاء أنحى عليهم " فحذف حرف النداء لأنه لم يعد هناك المهلة التى تجعله يستعملها فيأمر على سبيل المجاز أى الدعاء فى قوله : "اكشف ، احجب "

وكذلك الأمر فى البيت الخامس ،فى قوله : " مر النار ، ومر الغيث " ليس على الحقيقة بل خرج إلى معنى مجازى وهو الدعاء أيضا إذ إنه من الأدنى للأعلى ولكون النار لها جانب نفعى طلب بأن تكف أذاها ولم يطلب أذاها ولم يطلب رفعها كلها ، وقد حذف المسند إليه "النار " فى قوله : تكف أذاها " "والغيث " فى قوله : "يسيل انهمارا لسبق العلم به ولأنه لغو من القول لو ذكر .

كما نراه أطنب فى قوله : "مر " فذكره مرة ثانية إما لتأكد الحاجة إلى هذا الأمر ، أو للحفاظ على التفعيلات حتى تكون القصيدة من بحر واحد

وفى البيت السادس قوله : "أين طوفان " خرج الاستفهام الحقيقى إلى معنى مجازى آخر وهو الاستبطاء والتعبير بالطوفان دلالة على شدة النيران التى تحتاج لمثل هذا ،وكذلك العدول عن العلم عن العلم إلى اللقب (نوح) إلى (صاحب الفلك) للتوقير والتعظيم .

وفى البيت الربع عشر قوله :"أيها الرافلون " بدأ الشاعر فى الالتفات إلى الأغنياء مناديا بقوله : "أيها " مع حذف "يا " النداء إلى التعبير عن المفرد "حلة " إلى الجمع "حلل" لبيان كثرة النعم التى ينعمون بها .

وفى البيت الخامس عشر قوله : "إن قوما " أكد الشاعر الجملة الاسمية "بان" لأهمية المتحدث عنه ، وقدم المسند " فوق العراء" على المسند إليه " قوما جياعا" لأنه الأولى بالتقديم .

وفى البيت السادس عشر الاستفهام فى قوله : " أيهذا السجين " للتعظيم لشان المنشاوى باشا .

كما أن الأمر فى قوله : "مر " فى البيت السابع عشر خرج إلى معنى مجازى وهو الالتماس ، وجاء لفظ " ألف " نكرة ليفيد الكثرة وكما " هنا للتشبيه وليس المقصود منها المساواة فى الملة بل المقصود فى الإجارة أى المساعدة والحماية هذا عن الأسلوب عند حافظ .

أما إذا نظرنا إلى الأسلوب عند شوقى فنجده فى البيت الأول بدأ بالجملة الاسمية "الله يحكم " التى تدل على الثبوت والدوام ، كما قدم المسند لفظ الجلالة "الله " لعلو شانه .

وفى البيت الثانى قوله : " ما جل خطب " تهويل الأمر وتفظيع له ، وقد أعقبه "بثم" دون غيرها من حروف العطف لأنها تفيد الترتيب مع التراخى من حيث إن المصاب يصبره الناس بدعوته إلى النظر إلى مصائب غيره العظمى ، واستخدام "هون ، وصغر " للتخفيف من حدة المصيبة على أهل ميت غمر إذا نظروا إلى مصيبة غيرهم . ويوضع هذا الأمر البيت الذى يليه حين ذكر أسماء مدن تكبت بأفظع مما منيت به ميت غمر .

وفى البيت الثالث قوله : "فسلى " وجه الخطاب إلى ميت غمر ولما كانت لا تسأل ، ونما أراد أهلها ففى البيت مجاز المرسل بإطلاق المحل وإرادة أهل المحل حيث أطلق المحل "ميت غمر " وأراد أهلها والأول أفصح ، والمقصود فى قوله : "فسلى " التأسى والمواساة .

وفى البيت الرابع قوله : "مدن " حذف السند إليه والأصل "هى مدن "

وفى البيت الخامس ذكر المسند إليه "هذى " اسم الإشارة للأسى والحزن الذى أصابهم ، وكذلك الدمار وإزهاق الأرواح نتيجة الحريق ، والاستفهمام فى قوله: "هل كنت " للتقرير مع المبالغة التى تفيد شدة اشتعال النار وتسعيرها التى أتت على شئ .

وفى البيت السابع إطناب بالتكرار فى قوله : "الحياة حياة " و"النعيم نعيم "

وفى البيت الثامن فى قوله : "وأعد من حزم " حذف المسند إليه للعلم به .

وفى البيت العاشر مجاز عقلى فى قوله : " فعل الزمان "

أما إذا نظرنا إلى البيت الثانى عشر فنجد فيه إطنابا فى قوله : "لقيت لقيت ، ورأيت رأيت "

أما فى البيت الثالث عشر فقد عرف " لأمهات " المسند إليه بال فأفاد العموم

وفى البيت الرابع عشر قوله : " فى الطلول " فى الشطر الثانى التوكيد على وفاة الطفل ونراه ما أجاد فى استخدام كلمه (استأخرا)

وفى البيت الرابع عشر والخامس عشر حسن تقسيم لأنه بين أن الأطفال ما بين ميت وما بين مفقود من أثر الفاجع الأليم .

وفى البيت التاسع عشر يقول : إن منظر النار فى غاية البشاعة والألم وأتى بكلمة " لو " لتقييد المسند بالشرط "لو " نقول : لو رأى نيرون الذى أحرق روما وأخذ ينظر إليها وهو متحجر القلب لرق من أجل ما حدث لميت غمر لكون حدثها أعظم حالا وأسوأ مخبرا . وفى البيت العشرين قوله : " استغفر الرحمن " جمله دعائية معترضة وإن كانت مبالغة أجازها البلاغيون إلا أنها لم تصادف موقعها .

وكذلك : "ولى مدبرا " نرى أن الشاعر لم يوفق فى هذا التعبير لأن ذلك لا يناسب نبيا معصوما من أنبياء الله الصالحين وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام كما ذكرنا أثناء حديثنا عن كيفية تناول الحدث عند شوقى .

أما فى البيت الثانى والعشرين حسن تقسيم حيث إن شوقى عدد كل صور السكنى .

كذلك فى البيت الرابع والعشرين قوله : "وأضلهم قدر " قد أساء الشاعر ولم يوفق فى ذلك لأن القدر لا يضل وإنما هو بيد الله سبحانه وتعالى .

وفى البيت السابع والعشرين حسن تقسيم ما بين رائحة كريهة وأخرى جميلة كالعنبر .

والمقصود من الاستفهام فى البيت التاسع والعشرين الإنكار فهو على سبيل المجاز .

وفى البيت الثانى والثلاثون نداء مقصود به الدعاء ، كما أن فيه إيجاز بالحذف فى قوله : "خمدت " والتقدير : "خمدت النيران "

وفى البيت الثالث والثلاثون قوله : "فاكتتب " أمر مقصود به الالتماس فهو على سبيل المجاز .

أما فى البيت الرابع والثلاثين حذف المسند إليه " أنت " وهو يعود على لفظ الجلالة "الله "للعلم به ، والاستعطاف .

وكذلك الأمر فى البيت الخامس والثلاثين فى قوله : "تول وارحم " ليس على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز أى الدعاء .

وفى البيت السادس والثلاثين ماذا يعنى الشاعر بقوله : " ما لم تأته آياتك السبع " ؟ هل يقصد الاعتراض على القدر بأن الآيات عنيت بالرحماء وهم لم يرحموا ، فإذا كان الأمر كذلك فيكون قد أساء الشاعر الخطاب ، والبيت السابع والثلاثين يرجح ما ذهبنا إليه .

أما فى البيت الثامن والثلاثين فى قوله : "ادفع ، صير ، خذ " يفيد الدعاء ،وقوله : "بردا " اقتباس من القرآن الكريم من قوله الله عز وجل :"قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم " [1]

---

[1] الآية (٦٩) من سورة الأنبياء .

وفى البيت التاسع والثلاثين قوله : " مدوا الأكف " جمله خبرية تبرز دور المصريين فى المساعدة وقوله : " واستغفرى " الواو استئنافيه والأمر قصد به النصح كما أن فيه اقتباس من القرآن الكريم لدفع البلاء من قوله تعالى : " استغفروا ربكم إنه كان غفارا " [٢]

وفى البيت الحادى والأربعين قوله " يا أيها السجناء " المقصود من النداء النصح والإرشاد ، أما الاستفهام فى قوله " أمنتحوا " استفهام إنكارى ينكر عليهم غفلتهم أنهم آمنوا وقتهم .

أما قوله : " لا يبطرنك فى البيت الثالث والأربعين فهو أسلوب إنشائى (نهى) الغرض منه النصح والإرشاد .

أما فى البيت الرابع والأربعين قوله : " إذا " شرطية غير جازمة قيد بها الإسناد لتوقع حدوث وعدم الشك فيه ، وإسناد تنكرت الأحدث إلى الزمان مجاز عقلى أسند فيه الفعل لغير فاعله وقوله : "لأخيك " متعلق بالفعل "تنكر " اللاستعطاف ولزرع المحبة فى قلوب ، وقوله : " فاذكره عسى أن تذكرا " إيجاز بالحذف والدليل على الحذف عقلى .

ولا يخفى علينا ما تتسم به القصيدتان من صور التأكيد ووسائله المتعددة سواء أكان بالحروف المؤكدة أو التكرار أو بالجملة الاسمية أو التقديم والتأجير أو الجملة المعترضة أو المفعول المطلق أو التعبير بالمصدر وهذا الأسلوب يتوائم مع طبيعة ذلك الموقف الذى أملى على الشاعرين الخوض فى هذا الميدان أو إنشاد قصيدتهما .

---

[٢] من الآية رقم (١٠) من سورة ...

وفى الواقع أن هذا الأسلوب كما يقول أستاذنا الفاضل الدكتور / على على صبح : " لا يستطيعه إلا ذوو الكفاءة النادرة فى الاستقصاء وصاحب البصيرة النافذة بألفاظ اللغة مما يدل على المران والرياضة والخبرة الواسعة " [١]

ولا شك أن الحاسة الفنية الدقيقة لدى الشاعرين هى التى دفعتهما إلى هذا النوع من الألفاظ والنمط المتشابه فى القصور " لأن التلاءم بين ألفاظ الصورة فى مادة الحروف المتشابهة من صوت وإيقاع متحد مما يعين على تمام الصورة واستوائها " [٢]

وهذا دون شك يدل عل ذوق أدبى سليم وحاسة فنية خبيرة بالشعر ودروبه فلنتأمل قول حافظ عندما يلجأ إلى التوكيد أو التقديم والتأخير أو التكرار أو المصدر فى تصوره الأدبى لأن هذا الأسلوب يحتاجه الخائف الحذر ليهدأ من روعته ويطمئن من خوفه على هؤلاء المنكوبين فى هذا الحريق الخطير . ومن التأكيد بالحرف قوله فى البيت الخامس عشر :

إن فوق العراء قوما جياعا يتوارون ذلة وانكسارا

كما أنه لا يخفى على أحد أن الشاعر فى هذا البيت قدم المسند وهو " فوق العراء " على المسند إليه " قوما جياعا "

ومن استعمال حافظ التكرار فى تصويره الأدبى قوله فى البيت الخامس :

ومر النار أن تكف أذاها ومر الغيث أن يسيل أنهمارا

فقد كرر فعل الأمر "مر ،ومر " وإن التكرار من خواص اللفظ فى الصورة عند حافظ وقد كره بمادته حينا وبصيغه المختلفة حينا آخر .

فمن التكرار بالمادة أيضا عند حافظ قوله فى البيت الثامن :

---

[١] البناء الفن للصورة الأدبية فى الشعر اللأستاذ الدكتور / على على صبح ص ٥٤ نشر المكتبة الأزهرية للتراث طبعه سنة ١٤١٦ ه ـ ١٩٩٦ م .

[٢] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

غشيتهم والنحـــس تجـرى يمينـا ورمتهم والبـــؤس يجـرى يســارا

فقد كرر الفعل المضارع ((يجرى)) مرتين فى البيت .

كما كرر الفعل الضارع أيضا فى البيت الثانى عشر إذ يقول :

يلبسون الظلام حتى إذا ما أقبل الصبح يلبسون النهارا

وكذلك كرر كلمة النضار فى البيت التاسع عشر مرتين حيث يقول :

ســال فيــه النضــار حتــى حســبنا أن ذاك الفنــاء يجــرى نضــارا

وفى البيت تكرار بالمرادف فى كلمة "سال ويجرى "

ومن التكرار بالمرادف أيضا قوله فى البيت الخامس عشر :

إن فــوق العــراء قومــا جياعــا يتــوارون ذلــة وانكســارا

ففى قوله : "ذله وانكسارا " تكرار بالترادف

كذلك شوقى لا يخلو من بعض وسائل التوكيد فى تصوره الأدبى سواء كــان هذا التوكيد بالحروف المؤكدة حينا أو بالتكرار حينا آخــر أو بــالقصر أو بالجملــة المعترضة أو بالمصدر مرة أخرى .

فمن التوكيد بالحروف فى البيت التاسع عشر :

لــو أن " نــيرون " الجمــاد فــؤاده يدعــى لينظرهــا لعــاف المنظــرا

فقد أكد أن الجملة الأسمية بالحرف " أن " ،وكذلك قوله فى البيت العشرين

أو أنــه ابتلــى " الخليــل " بمثلــها " استغفر الرحمن " - ولى مدبــرا

فقد أكد الجملة الاسمية " بأن " كما أن من وسائل التوكيد فى البيت الجملــة المعترضة "أستغفر الرحمن "

ومن وسائل التوكيد بالقصر قوله فى البيت الثانى :

ما جل خطب ثم قيس بغيره إلا وهوته القياس وصغرا

وطريق القصر هنا " ما و إلا "

ومن استعمال المصدر عند شوقى قوله فى البيت الثامن عشر :

لا ترهب الطوفان فى طغيانها لو قابلته ولا تهاب الأبحرا

فالمصدر كلمة " طغيان " كما أن فى البيت تكرار بالمرادف فى قوله (ترهب وتهاب)

معانى القصيدتين :

إن معانى القصيدتين واضحة جلية لا غموض فيها ولا التواء إلا فى القليل النادر ، لأن الشعر الاجتماعى بطبيعته يميل إلى السهولة والوضوح حتى يفهمه جميع عامة الشعب .

ومن يمعن النظر ويدقق الفكر فى معانى القصيدتين يجدها لا وحشية فيها ولا غرابة وقلما يحتاج بعضها إلى الكشف فى المعاجم اللغوية .

الخيال الشعرى فى القصيدتين :

إن الصور الشعرية فى القصيدتين حافلة وخاصة فى قصيدة شوقى وتتمثل فى المجازات اللغوية من استعارات مكنية وتبعية وتشبيهات ومجازات ومحسنات بديعية بأنواعها .

ولكن شوقى فاق حافظ فى قوة خياله وطول باعه وبراعة تصويره

أولاً : الصور الخيالية عند حافظ :

من الصور الخيالية عند حافظ قوله فى البيت الأول : "سائلوا الليـــل " فقـد استهل الشاعر قصيدته بهذا المجاز اللغوى ،لأن الليل لا يسأل فقد تخيل حافظ "الليـل " إنسانا يسأل فيجيب ، وزاد الصورة إيضاحا بذكر كلمة " النهار " تضـــاد يوضـح الصورة ويزيدها رونقا وبهاء .

وفى البيت الرابع قوله : "فاكشف الكرب واحجب الأقدار "استعارة تبعية فـى قوله : "اكشف واحجب " أو استعارة مكنية حيـث جعـل الكـرب والأقـدار كالشـى المحسوس .

وفى البيت الثامن قوله : " غشيتهم " استعارة تبعية فى الفعل حيـث جعـل النار بمثابة غطاء اشتمل على هؤلاء الناس فعمهم فلم يعد لهم منـأى ولا مـهرب ، كما تخيل النحس يجرى يمينا والبؤس يجرى يسارا وهما لا يجريـان علـى سـبيل الاستعارة المكنية .

وفى البيت التاسع قوله " فأغارت " فقد صور الشاعر هذه النار بأنها جيـش أغار على هذه البلدة وهى ليس كذلك وإنما على سبيل الاستعارة التبعية .

وكذلك قوله : " قد كستهن قارا "استعارة تبعية فى الفعل "كسى " أو مكنيـة حيث جعل النار كاسية _ كما عبر بالمجاز المرسل فى كلمة " أوجه " والمـراد أهـل البلدة .

وفى البيت العاشر قوله : " أكلت دورهم " استعارة تبعية أيضا حيث شـبهها بما يأكل على سبيل الجاز العقلى لأن النار فعلت ذلك بأمر من الله لا بأمرها وهى مـع هذا عدت ما أكلته من دور قليلا فيممت نحو الصغار والكبار .

وفى البيت الحادى عشر قوله : " أخرجتهم " استعارة تبعية حيث شبه النـار بمن يخرج غيره .

-٧٢٢-

أما فى البيت الثانى عشر فقد صور الشاعر أنه من كثرة فزعهم خرجوا بحال مزرية ، ولم تمهلهم النار ليستروا عوراتهم وأصبح الليل والنهار لباسهم على سبيل الاستعارة المكنية فى كلمة " الظلام " والتبعية فى الفعل "يلبسون "

وكذلك قوله " أقبل الصبح " استعارة مكنية حيث جعل الصبح مقبلا واستعارة تبعية فى الفعل "أقبل "

وفى البيت الثالث عشر كناية عن رقة الحال ، وقوله : " حله " مجاز مرسل علاقته المجاورة حيث أطلق " الحلة " وأراد جلد أجسادهم على غرار قول عنترة العبسى : [١]

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقدم المتعلق " عنهم " وكرر " لا " لبيان شدة البؤس النازل بهم .

وقوله فى البيت الرابع عشر "لا "يجرون للذيول افتخارا " كناية عن عزهم وعلو شأنهم وعظمتهم فهى كناية عن صفة .

وفى البيت التاسع عشر قوله : " سال فيه النضال " استعارة تبعية فى الفعل " سال " حيث تصور النضار بشىء يسيل .

وكذلك قوله : " يجرى نضارا " استعارة تبعية فى الفعل " يجرى " حيث شبه النضار بشىء يجرى "

وفى البيت العشرين قوله : " أخجل الصبح " استعارة مكنية تشخيصية حيث تصور الصبح بإنسان خجول ويتوارى ثم حذف المشبه به ودل عليه بشى من صفاته وهو الخجل والتوارى على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية أو استعارة تبعية فى الفعل " أخجل وتوارى " .

---

[١] انظر ديوان عنترة بن شداد ص ٣٦ دار صادر بيروت بدون تاريخ .

أما فى البيت الثانى عشر فقد صور الشاعر أنه من كثرة فزعهم خرجوا بحال مزرية ، ولم تمهلهم النار ليستروا عوراتهم وأصبح الليل والنهار لباسهم على سبيل الاستعارة المكنية فى كلمة " الظلام " والتبعية فى الفعل "يلبسون "

وكذلك قوله " أقبل الصبح " استعارة مكنية حيث جعل الصبح مقبلا واستعارة تبعية فى الفعل "أقبل "

وفى البيت الثالث عشر كناية عن رقة الحال ، وقوله : " حلة " مجاز مرسل علاقته المجاورة حيث أطلق " الحلة " وأراد جلد أجسادهم على غرار قول عنترة العبسى : [١]

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقدم المتعلق " عنهم " وكرر " لا " لبيان شدة البؤس النازل بهم .

وقوله فى البيت الرابع عشر "لا يجرون للذيول افتخارا " كناية عن عزهم وعلو شأنهم وعظمتهم فهى كناية عن صفة .

وفى البيت التاسع عشر قوله : " سال فيه النضال " استعارة تبعية فى الفعل " سال " حيث تصور النضار بشىء يسيل .

وكذلك قوله : " يجرى نضارا " استعارة تبعية فى الفعل " يجرى " حيث شبه النضار بشىء يجرى "

وفى البيت العشرين قوله : " أخجل الصبح " استعارة مكنية تشخيصية حيث تصور الصبح بإنسان خجول ويتوارى ثم حذف المشبه به ودل عليه بشى من صفاته وهو الخجل والتوارى على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية أو استعارة تبعية فى الفعل " أخجل وتوارى " .

---

[١] انظر ديوان عنترة بن شداد ص ٣٦ دار صادر بيروت بعنوان عارين .

ومن ذلك النوع أيضا قوله فى البيت الحادى والعشرين قوله : " يكتسبون " السرور ويخلعون الوقارا " استعارة مكنية حيث جعل السرور كالكساء والوقار كاللباس أو استعارة تبعية فى الفعل المضارع " يكتسون ويخلعون " وكذلك قوله : "يدا الكأس " .

أما التشبيه فمنه قوله فى البيت السابع : "أشعلت فحمه الدياجى "حيث شبه الشاعر ظلمة الليل بالفحم فى السواد وكذلك من هذا النوع التشبيه الضمنى فى البيت العشرين فى قوله : "أخجل الصبح " حيث شبه حافظ ليل المنعمين المتلألئة أنواره بصبح مشرق وأشد حتى أن الصبح نفسه ليستحى أن يطلع من شدة الوضاءة والإضاءة

ثانيا : الصور الخيالية عند شوقى :

فى البيت الأول قوله : " يا ميت غمر " منادى نزل فيه غير العاقل " ميت غمر " منزلة العاقل " الإنسان " فقد شبه غير العاقل بالعاقل ، ثم حذف الإنسان ودل عليه بشى من لوازمه وهو النداء على سبيل الاستعارة المكنية .

وفى البيت الثالث قوله : " فسلى " عمورة أو سدون أو مرتنيق استعارة مكنية تشخيصية حيث تخيل هذه المدن الثلاث إنسانا يسأل فيجيب ، كما أنه فى قوله: " فسلى " استعارة تبعية فى الفعل .

وفى البيت التاسع قوله : " الشقاء مصورا " استعارة مكنية حيث شبه الشقاء بشى محسوس ومصور .

وفى البيت الثانى عشر قوله : " مودعة الطول دموعها " استعارة مكنية أيضا حيث جعل الدموع وديعة أو استعارة تبعية فى اسم الفاعل " مودعة "

أما قوله فى البيت السادس عشر : " طلعت عليك النار " استعارة مكنية كذلك حيث جعل النار كإنسان يطلع أو استعارة تبعية فى الفعل الماضى "طلع " ومثل

قوله : " محتك ، وغيرت " وكذلك قوله فى البيت السابع عشر : " ملكت جهاتك ، ويبدو الموت " .

أما قوله فى البيت الثامن عشر : ولا ترهب الطوفان ولا تهاب الأبحرا " استعارة مكنية تشخيصية حيث تخيل النار بإنسان شجاع وجرى لا يخاف ولا يهاب من شى كما أن فى البيت كناية عن صفة وهى شدة النيران وأنها لم تعد تخاف طوفان الماء ولا مجى البحور .

وفى البيت الحادى والعشرين قوله : " سيلا عاصم " استعارة تبعية فى اسم الفاعل "عاصم " وكذلك فى البيت الثانى والعشرين استعارة تبعية فى قوله : " أسر تهمو "حيث صور النار بفرسان والأهالى بأسرى .

وفى البيت الثالث والعشرين كناية عن شدة حصر النيران للناس فلم يتمكنوا من الفرار ، كما أنه فى قوله : " تملكت طرقاتهم " استعارة مكنية حيث شبه النار بمن يملك وهو الإنسان أو تبعية فى الفعل الماضى " تملكت " كما أنه فى الشطر الثانى استعارة تمثيلية فى ذكر المثل "كل الصيد فى جوف الفرا " ومثل ذلك قوله : فى البيت الرابع والعشرين : " خفت عليهم "

أما قوله فى البيت الثامن والعشرين " يا طير " استعارة مكنية تشخيصية حيث تخيل الطير إنسانا يناديه .

وفى البيت التاسع والعشرين قوله : "طوارق الأحداث " استعارة مكنية كذلك شبه طوارق الأحداث بالصائد .

وفى البيت الحادى والثلاثين قوله : "وأرى الفرائس " بالتساؤل أجدرا " استعارة أصلية .

أما قوله فى البيت الثانى والثلاثون : "يطفى القلوب المشعلات " استعارة بعية فى الفعل " يطفى " واسم المفعول " مشعلات " أو مكنية حيث شبه القلوب بشى مشتعل .

وفى البيت السادس والثلاثين قوله : " فعلت بمصر " استعارة مكنية تشخيصية حيث شبه النار بإنسان يفعل .

أما قوله فى البيت الحادى والأربعين : " يا أيها السجناء فى أموالهم " استعارة مكنية حيث جعل المال كالسجين أو استعارة أصلية فى " السجناء " حيث شبه فيها البخيل بمن يسجن نفسه وسجانه (ماله)، كما أنه يجوز أن تكون استعارة تبعية فى الحرف (فى)

وفى البيت الثالث والأربعين قوله : " رب ماش فى الحرير تعثرا " كناية عن تغير الأحوال .

أما فى البيت الرابع والأربعين : " تنكرت أحداثه " استعارة مكنية تشخيصية ، حيث شبه الأحداث بالإنسان الذى يتنكر .

أما التشبيه فمنه قوله فى البيت العاشر : " فعله بين أمية " تشبيه بليغ حذف منه الأداة وهى الكاف أى كفعله ببنى أمية وكذلك الوجه وهو الإهلاك والتشتت الذى أصاب بنى أمية وكذلك البرامكة .

وكذلك من التشبيه قوله فى البيت الرابع والعشرين : " ترى الطريق كأنها ساحات حاتم " فقد شبه الطريق بساحات حاتم وهو تشبيه غير مصيب المحز فهناك فرق بين نيران يستمتع بها ونيران تضر وتهلك .

ومن التشبيه أيضاً قوله فى البيت السادس والعشرين : " وترى الدعائم فى السواد كهيكل "حيث شبه دعائم المنازل وأركانها بهيكل خمدت به نار المجوس بجامع السواد والخراب وعدم العمار فى كل ، وأرى أن البيت قد تم عند قوله : " نار المجوس " وكلمة " أقفرا " أتى بها الشاعر من أجل القافية .

ومن التشبيه عند شوقى أيضا فى البيت السابع والثلاثون : كقاهر يسير عسكرا " حيث شبه النار بحاكم مستبد .

وإذا أردنا تطبيق عناصر الصورة الأدبية لدى الشاعرين نجدها قد استوفت ويبدو ذلك واضحا جليا كما هو مبين فى القصيدتين وإذا نظرنا إلى قصيدة شوقى نجدها قد استوفت عناصر الصورة الأدبية وهى كما ذكرها أستاذنا الدكتور إعلى على صبح فى كتابه [١] الموقع والحركة ، واللون والشكل والحجم والرائحة "

الموقع : مما لا شك فيه أن حادث ميت غمر الخطير كان له أثره الفعال على شاعرنا والذى دفعه إلى إنشاء هذه القصيدة التى تعد صورة من نفسه وتعبيرا صادقا عن مشاعره وأحاسيسه فهى ثمرة ذلك الحدث الذى اهتز له قلبه بل اهتزت له قلوب المصريين جميعا .

أما عنصر الحركة فنجده فى قوله :

طلعت عليك النار طلعة شؤمها فمحتك أساسا وغيرت الذرا
ملكت جهاتك ليلة ونهارها حمراء يبدو الموت منها أحمرا استغفر
أو أنه ابتلى الخليل بمثلها الرحمن ولى مدبرا

وعنصر اللون الحس عنده قوله :

ملكت جهاتك ليلة ونهارها حمراء يبدو الموت منها أحمرا
وترى الدعائم فى السواد كهيكل خمدت به نار المجوس وأقفرا

أما اللون المعنوى فمنه كلمة "البكاء والدموع " لأنهما يدلان على الحزن والألم فهما من الألوان الشعرية كما ذكر أستاذنا الدكتور | على على صبح فى كتابه[٢] ومن ذلك النوع قول شوقى :

قد جئت أبكيها وآخذ عبرة فوقفت معتبرا بها مستعبرا
والأمهات بغير صبر هذه تبكى الصغير وتلك تبكى الأصغرا
من كل مودعة الطلول دموعها من أجل طفل الطلول استأخرا

---

[١] انظر البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر من ص ٢٢٢ حتى ٢٣٢

[٢] البناء الفنى للصورة فى الشعر د | على على صبح ص ٢١٦

فقد اشتملت الأبيات الثلاثة على معان تشبه اللون وهو الحزن والألـــم ، لأن البكاء والدموع كلاهما يشعر بالحزن والألم .

أما عنصر الشكل فقد اشتملت الصورة الأدبية عند شوقى على هذا العنصـــر ومنه قوله :

أمســـى بـــها كـــل البيـــوت مبوبـــا ومطبنـــا ومســـيحا ومســـوار

حيث صور بيوت ميت غمر بعد هذا الحريق ما بين مبوب ومطنب ومســـج ومسور .

وعنصر الطعم قد خلت منه القصيد تان من غير أن يؤثـــر علـــى جودتـــهما تأثيرا ينزل من قدرهما لأن موقع الصورة هنا لا يستدعى الطعم الحسى فيـــهما وإن أمكن أن نلمس الطعم المعنوى حيث يوحى التعبير بمرارة هذا الحريق وشـــدة أثـــره على النفس الإنسانية .

أما عنصر الرائحة ففى قوله :

فإذا لقيت لقيـــت حيـــا بائســـا وإذا رأيت رأيت ميتا منكرا

فقد اعتمد شوقى على عنصر الرائحة وهو أنك إذا شاهدت ميتا فســـتراه ذا رائحة كريهة ومنظر تعافه النفس .

وكذلك قوله:

وتشم رائحة الرفات كريهة وتشم منها الثاكلات العنبرا

فقد صور شوقى بأن رائحة عظام الموتى كريهة ، كما تشم منها الثـــاكلات الرائحة الطيبة الذكية لأن هؤلاء الموتى بمثابة الشهداء عند الله عز وجل .

أما عناصر الصور الأدبية عند حافظ .

فالموقع كما ذكرنا عند شوقى

وأما عنصر الحركة فمنه قوله فى البيت الثالث :

كيف طـــاح العجـوز تحـت جـدار يتداعـــــى وأســـــقف تتجـــــارى
ومـــر النـــــار أن تكـــف أذاهـــا ومـــر الغيـــث أن يســـيل أنـــهمارا
أيـــها الرافلـــون مـــن حلـــل الوشـــم ي يجـــرون للذيـــول افتخـــــارا

وعنصر اللون فمنه قوله .

أشـــعلت فحمـــة الديـــاجى فبـــــاتت تمـــــلأ الأرض والســـــماء شـــــرارا

وقوله

فأغـــارت وأوجـــه القـــوم بيـــــض ثـــم غـــارت وقـــــد كســـــتهن قـــــارا

والطعم فقد خلت منه القصيدة كما ذكرنا عند حديثنا عن عنصر الطعم عنـــد شوقى .

المحسنات البديعية وقيمتها الفنية فى القصيدتين :

أولا : عند حافظ :

قوله فى البيت الأول " الليل والنهار " طباق إيجاب وفائدتـــــه أنـــه يوضـــح الصورة ويزيدها رونقا وبهاء .

ومن ذلك النوع أيضا قوله : " الأرض والسماء " جاء على ســـبيل التضـــاد وقدم الأرض على السماء لوقوع الحدث عليها ولم يقصد بالسماء هنا المخلوقة وإنما قصد طبقات الجو العليا .

ومن التضاد أيضا قوله فى البيت الثامن : " يمينا ويســـارا " وفائدتـــه كمـــا ذكرنا حسن البيت وجمله وزاد المعنى قوة ووضوحا .

وكذلك فى البيت التاسع قوله : " بيض وقار " تضاد يزيد المعنى قوة وجلاء

ومن طباق الإيجاب أيضا قوله فى البيت العاشر : " صغارهم والكبـــار" فقـــد زاد المعنى جلاء ووضوحا

ومن التضاد الخفى قوله : " الظلام والصبـــح والنـــهار " حيـــث إن النـــهار والصبح يضادهما الليل ، ولما كان قد عبر بالظلام الذى لا يكون إلا بليل فقـــد وقـــع تضاد غير ظاهر بين " الظلام والنهار " على غرار قوله تعـــالى " أغرقـــوا فـــأدخلوا نارا"[١] وفى البيت الثالث عشر تضاد أيضا بين قوله : " البرد والحـــر " وقـــد ذكرنـــا فائدة التضاد آنفا.

ومن التضاد أيضا قوله فى البيت الثالث والعشرين : "هذا يتغنى وذاك يبكـــى "وكذلك قوله فى البيت الرابع والعشرين : " نحسا وسعودا ، وعسرة ويساراً "

أما إذا انتقلنا إلى نوع آخر من المحسنات فنجد عند حافظ قوله فـــى البيـــت التاسع : " أغارت وغارت " جناس ناقص حيث إن الأولى بمعنى : أقبلـــت وهجمـــت والثانية بمعنى : ولت وأدبرت .

ثانيا : عند شوقى :

فى البيت الثانى تضاد فى قوله : " جل وصغر " وقد عرفنا فائدته سابقا .

ومن الطباق الإيجاب قوله فى البيت الثامن : " ترضى وتضجرا "

وكذلك فى البيت السابع عشر قوله : " ليلة ونهارها " طباق إيجاب ومن هذا النوع أيضا قوله فى البيت السابع والعشرين : " كريهة " والعنبرا " وكذلك من هـــذا النوع فى البيت الثلاثيين : " دانى وبعيد " ومن التضاد أيضا فى البيت الأربعيـــن : " موسر ومعسر " .

أما فى البيت الثانى والأربعين قوله : لا تملك ، وتملك " طباق سلب .

أما الجناس فمنه قوله : " حمراء ، أحمرا" وهذا من قبيل الجناس الناقص

---

[١] من الآية رقم (٢٥) من سورة نوح .

لاختلاف الكلمتين فى ترتيب الحروف وحركاتها .

نقد وتعليق :

إن شوقى قد عارض حافظ ف رؤيته فى وصف حريق ميت غمر بقصيدة رائية وصف فيها أيضا حريق ميت غمر . ولهاتين القصيدتين قيمة كبرى ومزية عظيمة حيث حثتا الناس على مساعدة هؤلاء المنكوبين والوقوف بجوارهم ومد يد المساعدة والعون لمن بقى منهم ، ولذلك وجدنا أنه من الخير أن نوازن بينهما نقف القارئ على ما فيهما من براعة الوصف وحسن البيان . كما وجدنا أنه من الخير أيضا أن نميط اللثام عما فيهما من موطن الحسن ومظان الضعف ، وأن نبين أى الشاعرين أبرع لفظا ، وأشرف معنى وأسمى خيالا .

ومن مواطن الحسن عند حافظ أنه استهل أبياته الثلاثة بالاستفهام الذى أعطنى المعنى شيئا من الحسن وزاده تمكينا فى النفس .

ولا نجد هذه النغمة المحزنة فى قصيدة شوقى ، إلى أن لحافظ فضل السبق فى وصف هذا الحريق .

أما موطن الحسن عند شوقى فإننا نجده أبرع من حافظ فى تناول المعانى . ومن السهل علينا أن نعلل هذا فإن حافظ إبراهيم لم يجر فى قصيدته إلا على الفطرة ، وكان من ذلك أن رضى بعفو الخاطر بخلاف شوقى فإنه معارض من صالحه أن يظفر بالسبق لذلك عنى بترتيب المعانى واختيار الألفاظ وسمو الخيال .

ونرى أن شوقى لم يوفق فى قوله فى البيت الثالث والثلاثين " فاكتتب " لأن مخاطبة الله تعالى بهذه الكلمة لا يليق بالذات العلية وهى من هفوات الشاعر التى تنعم عن جهل بعلم العقيدة والكلام .

أما مظان الضعف عند حافظ وشوقى فقد سبق أن ذكرناها أثناء حديثنا عن الألفاظ والأساليب .

الحكم :

إن قصيدة شوقى لتفوقها فى التصوير الأدبى تتساوى مع قصيدة حافظ التى امتازت بفضل السبق لأنها تعلو فيها النبرة الخطابية مما أضعف من شأنها وغض من مكانها .

وللقارئ ـ إن شاء الحكم ـ أن يرجع إلى ما أسلفنا القول عنه من مواطن الحسن ومظان الضعف ، ومواقع الخيال ليرى أى الشاعرين أولى بالسبق ، وأيهما أرجح فى الميزان .

وحسبنا أن ما ذكرنا فى القصيدتين من المحاسن والعيوب فإننا لا نعتنى بالأشخاص وإنما يعنينا ان ندرس اشعر ، وأن نقف على ما فيه من قوة وضعف وحسن وقبح وبيان ونحن نوازن بين الشعراء .

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا :

١. الأطلسى العربى ـ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم الإصدار الثانى ، ط ثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٨ م

٢. الأعلام لخير الدين الزركلى .

٣. البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر للأستاذ الدكتور | على على صبيح ص ٥٤ نشر المكتبة الأزهرية للتراث طبعة سنه ١٤١٦ ه | ١٩٩٦ م .

٤. ديوان حافظ إبراهيم ضبط وتصحيح وتوثيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٧ م .

٥.ديوان شوقى د| أحمد محمد الحوفى ط دار نهضة مصر ..

٦. ديوان عنترة بن شداد ط دار صادر بيروت .

٧. ديوان المتنبى (٣: ٣٢٠) جمع وتحقيق عبد الرحمن البرقوقى نشر دار الكتاب العربى بيروت .

٨. سلسلة الأعلام لمحمد لطفى جمعه ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنه ١٩٧٥م

٩. شرح ديوان أبى تمام شرح وضبط الأديب شاهين عطية ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٧ ه _ ١٩٨٧ م ص ١٨

١٠. شعراء الوطنية فى مصر لعبد الرحمن الرافعى .

١١. الشوقيات . (٤. ٤٠. _٤٣) دار زهد القدسى للطباعة والنشر للمرحوم أحمد شوقى

١٢. شوقى شاعر العصر الحديث د| شوقى ضيف ط دار المعارف ١٩٥٣ م .

١٣. القاموس المحيط للفيروز ابادى نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠ ه _ ١٩٨٠ م .

١٤. مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر عبد بن القادر الرازى مطبعة عيس البابى الحلبى وشركاه . " بدون "

١٥. معجم البلدان (٤ : ١٥٨) ط دار صادر بيروت لياقوت الحموى .

١٦. المعجم الوجيز طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٤١٦ ه ١٩٩٥م .

١٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى، ط عالم ، الكتب تحقيق مصطفى السقا " بدون " .

١٨. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مكتبة الترقى دمشق ط ١٩٥٧ م .

١٩. مجلة أبولو يوليو ١٩٣٧ م .

٢٠. مجلة منبر الإسلام السنة ٣١ رجب ١٣٩٣. ه أغسطس ١٩٧٣ م .

٢١.مقدمة ليالى سطيح .

٢٢.نفح الطيب المقرى التلمسانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

إعداد / د. كمال محمد محمد عبدالرحمن

مدرس الأدب والنقد بالكلية